الفصل الأول
لماذا أنت هنا؟

كثير منا يعيش حياته يومًا تلو الآخر، ولا يسأل نفسه لماذا أنا هنا؟ هل فكرت يومًا بعمق لماذا أنت على هذا الكوكب؟ ما الهدف من وجودك؟! بالطبع هناك من لديه الإجابة أن أُعَمِر الأرض، أو أن أربي أولادي ثم أموت بلا هدف.

كثيرًا منا يقضي حياته هكذا يتعلم، ويتخرج، ويبحث عن زواج مناسب ثم ينجب الأولاد، ويربيهم، ويعمل طول حياته وتأتي ساعته ثم يموت. ماذا فعل في حياته؟! ما الهدف الذي حققه؟ نعم، هذا سؤال مهم كثيرين يأتوا إلى الحياة، ويذهبوا دون أن يضع بصمته في الحياة.

ومن أكثر الكتب التي أثرت في شخصي ضع بصمتك للشيخ محمد العريفي حيث تكلم عن هذه النقطة تحديداً أن تضع بصمتك في الحياة، في أي مكان توجد فيه، ولكي تعرف كيف تضع بصمتك في الحياة يجب أن تجيب على هذا السؤال أولاً لماذا أنت هنا؟ نعم تَمَعَن في هذا السؤال جيداً، وفكر للحظة في الإجابة الصحيحة، ويجب أن نعود إلى كلام

الخالق في هذه الإجابة بِسْمِ اللهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة الذاريات)

نعم، هذا هو الهدف الأول من خلقنا جميعًا العبادة قبل أي شيء في الحياة إذا الإجابة الأولى التي يجب أن تعمل عليها هي العبادة.

هنا يأتي السؤال الثاني كيف أعبد الله ؟كيف أحقق هذا الهدف؟ أن مفهوم العبادة أكبر مما نتخيل، فالعبادة لها أساسيات ولها معاملات، ولنأتي من البداية، ونفكر ما هي أساس العبادة؟ إنها الصلاة نعم هل تعلم أن صلاتك هي حياتك قبل أي شيء فقد أوجب الله تعالى الصلاة على كل مسلم عاقل بالغ خمس صلوات في اليوم، والليلة، فلا يجوز ترك الصلاة، أو التهاون بها.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري ـ رضي الله عنه وعن أبيه، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.

أخرجه مسلم في صحيحه.

أفضل القربات إلى الله فليس هناك عمل يتقرب به إلى الله، وهي الفرائض كما قال في الحديث القدسي: ...وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه ... رواه البخاري في صحيحه.

والله ينهي عن الإثم كما قال تعالى: ﴿ . . .إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ. . . ﴾(سورة العنكبوت٤٥)

وهي أهم الأشياء في أولويات حياتك أحضر قلمًا، وورقة واكتب لماذا أنت هنا؟ واكتب رقم واحد العبادة وضع (الصلاة) في أول بند، واجعل هذه الورقة معك لأنها سوف ترافقك وستملأها بكل الإجابات لماذا أنت هنا؟ وما الهدف في حياتك؟ أنت تعيش من أجل من.

لماذا تستيقظ كل يوم، وتشكر ربك على نعمة الحياة كل هذه الإجابات سوف نسردها سويًا في هذا الكتاب معًا فاجعل هذه الورقة معك لأنها هي التي سوف ـ تغير حياتك للأفضل ـ بعد أن فكرت للحظة معًا أن العبادة في المقام الأول، والصلاة على رأسها.

لنرجع لحديث أركان الإسلام عن أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر الخطاب ـ رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ يقول : بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان. رواه البخاري، ومسلم .

إذا طبق أركان دينك، ولا تتهاون بها تكن هي بداية الطريق إلى الله فأنت موحد، وهذه هي الشهادتين، وتكلمنا عن أهمية صلاتك، وبعدها زكاتك، هل تعرف ما هي (الزكاة) ؟وكيف تخرجها ؟هل تعرف زكاة مالك، وتحرص على أداء حق الله .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا . . . ﴿١٠٣﴾ ﴾ (سورة التوبة)

كما أن فيها إحسانًا إلى الخلق وتأليفا بين قلوبهم وسدًا؛ لحاجتهم وإعفافًا للناس عن زل السؤال وفي المقابل إذا منع الناس زكاة أموالهم كان ذلك سببًا لمحق البركة من الأرض، وبيتك، ومَالَك إذًا زكاتك نصب أعينك، وبعد ذلك (صيامك) هذا الشهر العظيم الذي لا تتخيل مقدار الحسنات، والبركة التي تحل مع هذا الشهر وهو زاد إيماني قوي وفيه يومًا بألف شهر، بل خيرًا من ألف شهر أي تعادل ٨٣ سنة أي تعادل عمرك كله، أو أكثر أن لم يقدر لك أن تعيش حتى الثلاثة، والثمانين فهل تتخيل مقدار الثواب؟! .

وأخيرًا (الحج) قال تعالى : ﴿ . . . وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . . . ﴿٩٧﴾ ﴾ (سورة آل عمران)

وهو تزكيه للنفوس لمن استطاع طالما ليس في استطاعتك فلا أثم عليك .

وأركان دينك هي أولوياتك احرص على أدائها دائمًا لأن كما يقول د . إبراهيم الفقي ـ رحمه الله ـ عيش كل لحظة وكأنها آخر لحظة في حياتك . وحقًا قد تكون آخر لحظة في حياتك .

ولكن لا يأخدك لهو الدنيا عن الحقيقة الحتمية التي يجب الإقرار بها في كل يوم في حياتك استيقظ صباحًا قل ، يارب هذا اليوم لك احتسب أجر كل شيء أفعله لوجهك الكريم فقد جعلت ليومك قيمة .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (سورة الأنعام)

هذه الآية تتحمل ، وقفات فقد قال الله تعالى لرسوله قل أخبر الجميع أن صلاتك ، وعبادتك لله وحده .

ولكل أمة مناسكها مثل نسك الطواف ، ونسك الذبح ، ونسك رمي الجمرات .

كما قال الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ قال : ومحياي ومماتي أمران اختريان الصلاة ، والنسك أنت وجهة الطاقة المخلوقة لله ، وعقلك ،

ومنهجك من الله إذا أي فعل اجعله لله إذًا أخلص في صلاتك، وننسكك لأنها لله وحده إذًا أربح الصفقة مع الله، ومحياي إذا الله أعطاك الحياة، فأجعلها لله، ومماتك لله، وليس لورثتك بل لله رب العالمين، فلا تجعلها لغير الله.

فهناك من يجعل صلاته رياء للناس؛ ليقول الناس فلان يصلى ويجعل نسكه لغير الله، ويذهب للحج؛ ليقولوا الحاج فلان فلم يجعل صلاته، ولا نسكه لله بل خسر صفقته مع الله.

معنى ذلك أن هناك من يجعل حياته لغير الله ولذلك قال الله لرسوله وبذلك أمرت فيقول الله انظروا إلى تشريعي ليوصي به رسول الله .

هكذا أمرنا الله سبحانه وتعالى فلا تجعل صلاتك رياء، أو حياتك لعمل، أو زوجه، أو أولاد، وتنسى أن محيى حياتك لله قبل كل شيء كل هذا رقم واحد في ورقتك الخاصة لا تتكاسل أبدًا عن أداء أي منها، واجعل من حياتك طاعة لله وربي أولادك على طاعة الله وجعل حياتهم لله قبل أن تدخل في قلوبهم حب الدنيا بل عرفهم أن اهتمامنا الأول هي صلاتنا، وحياتنا لله رب العالمين تسعد حياتك، وتهنئ بالعيش في سلام داخلي.

فكم من أُنَاس مشهورين يملكون المال، وكل متاع الحياة ولكن هناك فراغ في صدورهم هذا لأن هناك فراغ في روحانيتهم لا يغدى روحه بالتقرب لله بكلام الله بالوقوف بين يديه فقد سأل أحد مقدمي البرامج مطرب مشهور بعد أن اعتزل وهو في قمة شهرته أين وجدت الراحة؟ قال في الركوع بين يدي الله وجميعنا نعرف الممثلة المشهورة – شادية ـ التي اعتزلت الفن، ووجدت راحتها بجوار الله ـ رحمها الله ـ لذا عرف أولادك أن أردتم الراحة، فاجعل حياتك لله وحده، وهذا ما يجب أن تفعله العبادة ولا تنسى أن دينك هو أول أهدافك الحقيقية التي يجب أن تسعى إليها.

كثير منَّا يذهب للعمل ويؤدون الصلاة، ولكن يقولون انتهي من هذه أولاً وينسى قوله سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (سورة النور)

هؤلاء هم من يكسبون ثواب الدنيا، والآخرة، فالرجال الحق هم من وصفهن الله سبحانه وتعالى أنهم من لا تلهيهم تجارتهم، ولا أعمالهم ولا جامعتهم، ولا صفقاتهم عن ذكر الله وعن الصلاة ووصف هنا

أنها لا تلهيهم جاءت من اللهو أن أي شيء آخر سوف تفعله عند إقامة الصلاة فهو لهو.

لم يعد عمل، أو دراسة وأنت أيها الأم تأخرين صلاتك لتنهي إعداد الطعام أولاً، فأنت مخطأة فإذا تركت الطعام، أو تنظيف المنزل، وأديت صلاتك في ميعادها سوف يجعل الله كل شيء معك أسهل، وأيسر بكثير لأنك أديت حق الله، فأعطاك الله البركة في منزلك، وفي أولادك، وفي زوجك، فلا تجعلي شيء يبعدك عن ذكر الله، ولا تنسي قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ (سورة الماعون).

وكثير يبرمج حياته على الدنيا وإذا تبقى له وقت من يومه يؤدي ما عليه من صلاة أو وِرْد وإذا لم يسنح له وقته لا يبالي وهذا ما يقع فيه الكثير فهؤلاء هم السَاهون الغافلون عنها المتهاونون بها، حارب نفسك وحدد دائمًا هدفك أولاً أريد أن أصلي، أريد أن أؤدي حق الله عليّ، سوف تشعر براحة وبسعادة كبيرة وأنت تؤديها فلا تضيعها أبدًا فهي نجاة للنفس.

جاء الأصدقاء، وسأل صديقه أنا مخنوق أشعر بملل، والضيق فأول سؤال سأله قال له هل تصلي؟ قال لا، فقال له إذًا اذهب لتصلي أولاً ثم عد وتكلم. نعم، لا تشتكي من الملل، والضيق وأنت لا تصلي

فمن أصول التنمية البشرية تنمية الروح، وتغذية النفس فأنت تغذي جسدك، وتأكل، وتتزوج فأين غذاء الروح؟ كي لا تصبح فارغة ابحث بداخلك دائمًا سوف تجد أن روحك لن ترتاح إلا بين يدي الله إلا في سجدة طويلة تذهب بها كل همومك.

وكما قال الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآيات الكريمة: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت)، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ (سورة المؤمنون).

وكلمة { عَبَثًا . . } العَبَث هو الفعل الذي لا غايةَ له، ولا فائدةَ منه، كما تقول: فيم تعبث؟ لمن يفعل فِعْلاً لا جدوى منه، وغير العبث نقول: الجد، ونقول: اللعب، واللهو، كلها أفعال في حركات الحياة.

لكن الجد: هو أن تعمل العمل لغاية مرسومة إذن أنت لم تخلق لتعيش لتأكل، وتشرب، وتتزوج بدون هدف في الحياة هذا هو العبث يجب أن يكون لديك هدف في الحياة مهما كان بسيطًا ضع بصمتك، وضع أثرًا.

أما اللعب فهو أن تعمل عملاً هو في واقع الأمر لا غاية له الآن إلا دُرْبتك أنت على الحركة وشُغْل ملكاتك حتى لا تتوجه إلى فساد شيء أو الإضرار بشيء، كما تشتري لولدك لعبة يلهو بها، وينشغل بها عن الأشياء القيِّمة في المنزل، والتي إن لعب بها حطّمها، فأنت تصرف حركاته إلى شيء لتمنعه عن أشياء ضارة، أو تُعلِّمه باللعب شيئًا يفيده فيما بعد، كالسباحة، أو ركوب الخيل.

واللهو كاللعب يكون لغاية قد تأتي بعد، أو لغاية تنفي ضررًا، إلا أن اللعب حين تزاوله لا يشغلك عن مطلوب، أما اللهو فهو الذي يشغلك عن مطلوب، فمثلاً الطفل دون السابعة يلعب في أوقات الصلاة، فيُسمّى فعله لعبًا، فإنْ كان في العاشرة يُسمَّي فِعْله لَهْوًا؛ لأنه شغله عن الصلاة، وهي واجبة عليه.

واللعب يُدربك على أشياء قد تحتاجها وقت الجد فتكون سهلة عليك، أما العبث فلا فائدةَ منه، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا . . . ﴿١١٥﴾﴾(سورة المؤمنون)

فنفي أن يكون الخَلْق عبثًا بلا غاية؛ لأن الله تعالى خلق الخَلْق لغاية مرسومة، ووضع لها منهجًا يحدد هذه الغاية، ولا يضع المنهج للخَلْق إلا الخالق.

كما قلنا سابقًا: أن الصانع الذي صنع هذا الميكروفون لم يصنعه ثم طلب منا أن نبحث له عن مهمة، إنما قبْل أن يصنعه حدد له مهمته، والغاية منه، وهي أن ينقل الصوت لمسافات بعيدة، إذن: فالغاية مرسومة بدايةً، وقبل العمل.

فالذي يحدد الغاية هو الصانع المبدع للشيء، وهو أيضًا الذي يحدد صلاح الصنعة لغايتها، ويحدد قانون صيانتها لتؤدي مهمتها على أكمل وجه، وأنت أيها الإنسان صنعة الله فَدَعْهُ يحدد لك غايتك، ويضع لك منهج حياتك، وقانون صيانتك، بفعل كذا، ولا تفعل كذا.

إذن: فساد الدنيا يأتي من أن الصنعة تريد أن تأخذ حق الصانع في تحديد الغاية، وفي تحديد المنهج، وقانون الصيانة، وليس من مهمتها ذلك، والخالق حينما يحدد لك المنهج الذي يُعينك على غايتك، إنما أنت: متى تستطيع أن تدرك الأشياء لتضع غاية، أو تضع قانون الصيانة؟

إنك لا يمكن أن تبلغ هذا المبلغ قبل سنِّ العشرين على أحسن تقدير، فمَنْ ـ إذن ـ يضع لك غايتك، وَقانون صيانتك قبل هذه السنِّ؟ لا أحدَ غير خالقك (ﷻ)، ولن يستقيم الحال إلا إذا تركنا الصَّنْعة للصانع غايةً ومنهجًا وصيانة. وكيف تظن أن الله تعالى خلقك

عَبثًا، وهو الذي استدعاك للوجود وأعدَّ لك مُقوِّمات حياتك وضرورياتها، وحثَّك بإعمال عقلك في هذه المقومات لتستطيع أن تُرفِّه بالطاقة، والقدرة المخلوقة لله تعالى لتُسعدَ نفسك وتُرفِّه حياتك.

وقد كنا في الماضي نجلس على ضوء المسرجة، والآن على أضواء النيون، والكريستال، ومهما ترفهت حياتك، وتوفرت لك وسائل الراحة فلا تنْسَ أنها عطَاء من الله في المادة، ةفي الطاقة، وفي العقل المفكر، كلها مخلوقة لله (ﷻ)، لا تملك أنت منها شيئًا، بدليل أن الله إذا سلبك العقل لَصرت مجنونًا، ولو سلبك الطاقة والقدرة؛ لصرتَ ضَعيفًا لا تستطيع مجَرد التنفس، فهذه نِعَمٌ موهوبة لك ليست ذاتية فيك.

إذن: عليك أن تتأمل في خالقك عز وجل، وما وهبك من مقومات الحياة، لتعلم أن هذا الخَلْق لا يمكن أن يكون عبثًا، ولا بد أن له غاية رسمها الخالق سبحانه، وأنت في ذاتك تحاول أن تضع لك غاية في جزئية ما من الغاية الكبرى التي خلقك الله لها.

ألا ترى الولد الصغير كيف تعتني به، وتُعلِّمه، وتنفق عليه مرحلة بعد الأخرى ، حتى يصل إلى الجامعة، وتتعلق أنت بأمل كبير في أن يكون لولدك هذا مكانة في المجتمع، ومنزلة بين الناس؟ هذه العملية في حد ذاتها غاية، لكن بعد أن يحصل على الوظيفة المرموقة، والمكانة والمنزلة، و ينتهي الأمر بالموت.

إذًا فالغاية التي تسعى إليها لا تنتهي بانتهاء حياتك بل يجب أن تكون ممتدة إلى بعد مماتك من الأشياء التي تفعلها طوال حياتك من أعمال صالحة، ونشر الخير بين الناس، وبناء دينك يجب أن يكون لديك هدف ممتد.

إذن: لا بُدَّ من وجود غاية أخرى أعظم من هذه، غاية لا يدركها الفناء، وليس لها بعد، هذه الغاية الكبرى هي لقاء الله وملاقاة الجزاء، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

وعلينا أن نأخذ كل مسائل الحياة، وجزئياتها في ضوء هذه الحقيقة، أننا لم نُخلَق عَبَثًا، بل لغاية مراده لله، ولها أسباب توصل إليها.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ . . .وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (سورة المؤمنون)

(تُرجَعون) يعني: رَغْمًا عنكم، ودون إرادتكم، كأن شيئًا ما يسوقهم، كما في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الطور)

يعني: يُدفعون إليها، ويُضربون على أقفائِهم، ويُسَاقون سَوْقَ الدواب.

معنى هذا انه يجب أن تتذكر دائما إنك موجود هنا ليس عبثًا بل لغاية اذن اعرف ما هي غايتك، وكما قلت سابقًا أن أول غاية هي العبادة.

وكان آخر خطبة خطبها (عُمر بن عبد العزيز) أن حمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تتركوا سُدى، وإن لكم معاداً ينزل اللّه فيه للحكم بينكم، والفصل بينكم، فخاب، وخسر وشقى عبداً أخرجه اللّه من رحمته، وحرم جنة عرضها السماوات، والأرض، ألم تعلموا أنه لا يؤمن عذاب اللّه غداً إلا من حذر هذا اليوم وخافه، وباع نافذاً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفًا بأمان، إلا ترون أنكم من أصلاب الهالكين، وسيكون من بعدكم الباقين، حتى تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى اللّه (ﷻ) قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممهد، ولا موسد، قد فارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، مرتهن بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا اللّه عباد اللّه قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم؛ ثم جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله.

أخرجه ابن أبي حاتم عن رجل من آل سعيد بن العاص، هل رأيت كيف هذا الرجل العظيم الذي حكم أمة كان يعرف الغاية

والهدف الحقيقي فأراد أن يبلغ الناس بهذا لكي يعرفوا الحقيقة التي تغيب عن البعض.

سأل الأستاذ محمود فوزى فضيلة الشيخ الشعراوي: هل خلق الإنسان للشقاء، والمكابدة؟! حيث قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾

صدق الله العظيم.

فأجاب فضيلة الشيخ قائلاً: الذي يقول لك: أن الإنسان قد خلق لكي يستريح لا يفهم مغزى ومعنى هذه الحياة التي نعيشها.. فالإنسان بطبيعته خلق لكي يكابد، ويكافح في هذه الحياة.

ولقد خلق الله الإنسان له طاقة وميَّزه بالفكر.. فطاقة الإنسان مثل طاقة الحيوان تمامًا!! ولكن ميز الإنسان عن الحيوان بالفكر.. فأنت لا تجد الحيوانات مثلاً تفكر في تطوير، وتجديد حياتها.. فأنت لا تجد حيوانا يفكر مثلاً في أن يجدد (الزريبة) التي يعيش فيها، أو حينما يأكل يفكر في أن يبقى طعامه للأيام القادمة.. كما أنك لا تجد في الوقت نفسه حيوانًا بعد أن يأكل ويشبع يستمر في الأكل بعد ذلك.. فهو يأكل بقدر الغريزة فقط!

ولا يستطيع الحيوان بعد أن يشبع أن يأكل عودًا من البرسيم مهما فعلت له، وذلك بعكس الإنسان!

فالإنسان بعد أن يأكل، ويشبع ويصاب بالتخمه من الأكل لو زينت له طعامًا جميلاً فإنه يمكن أن يأكل منه حتى بعد أن شبع تمامًا.

فالإنسان له القدرة على القرار.. أن يقرر أن يأكل.. أو يرفض نوعًا من الطعام، ويقبل نوعًا آخر بعكس الحيوان الذي يأكل بقدر الغريزة فقط!!

كما إنك لا ترى حيوانا يمتنع عن الأكل، والشرب لأنه أخذوا منه أولاده بعد أن كبروا لأن العاطفة ليست موجوده عند الحيوان.. ولعل العاطفة هي سر شقاء الإنسان.!!

إذن لقد خلق الإنسان لكي يعمل، ودار الراحة الحقيقية هي الدار الآخرة لا دار الدنيا.

وقد أسعدني ـالدكتور راتب النابلسيـ بأحدى محاضراته حين قال: قل ما شئت، قُل: أنا مؤمن، فهل تُتْرَك بلا امتحان؟ قل: أنا أحمل شهادة دكتوراه، هكذا؟ أفتدع الدولة إنسانًا يضع على غرفة بيته لقب دكتور من دون أن تُحاسبه، من دون أن تطالبه بالشهادة، وبالترخيص هكذا؟

إنسانٌ مثلك فرضًا لا يقبل منك أن تدّعي شيئًا لست في مستواه..

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا . . .﴿٢﴾﴾ (سورة العنكبوت).

لا بد للمؤمن من امتحان، وفتنة:

أن تقول أنا مؤمن، ثم تأتي ظروف ضاغطة، وظروف مُغرية، فماذا تفعل؟ لو أن الأمر بسيط يكفي أن تقول: أنا مؤمن والحمد لله، وأن تصلي هذه الصلوات الخَمْس، وأن تصوم رمضان، وأن تحجّ البيت، وأن تؤدي زكاة مالك، وانتهى الأمر، لكانت القضية سهلة جداً، ولكن إذا قلت: أنا مؤمن، فهناك امتحاناتٌ لا نهاية لها، لابدّ من أن تكشف من أنت.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ . . . ﴿١٧٩﴾ ﴾ (سورة آل عمران)

ليس الإيماء بالادّعاء:

تقول: أنا أحب الخير، لكنّك قاعدٌ في البيت، يأتي من يطرق بابك، ويقول لك: هل لك في خيرٍ ساقه الله إليك؟ تعتذر، إذا هذه دعوى، هذا الكلام كذب، تقول: أنا أحب الخير، أنا أحب التضحية، أنا أحب الفداء، أنا أحب الصدقات، أنا أحب مجالس العلم، فيأتيك زائرٌ قليل الشأن من غير موعد تُضَحّي بمجلس العلم من أجله، أين حبُّك لمجالس العلم؟ قل له: اذهب معي يا رجل، جئتني على غير موعد، وأنا عندي موعد، أيُّ شيءٍ تدّعيه، أي شيءٍ

تقوله لابدّ من أن تُكْشَفَ حقيقتك فيه، أنا أُحبُّك يا أمي حبًا جمًا، والله أن تزوّجت لأفعلنّ كذا وكذا، ولأفعلنّ كذا وكذا، هذا كلام، فإذا تزوّج قلب لأمّه ظهر المِجَن، وكره بقاءها، واستثقّل حياتها، وتمنّى أن تموت، إذا هذه دعوى، وكلامٌ باطل، أنا أحب الله، ولن أعصيه أبدًا، يأتيك إغراءٌ شديد تنهار قِواك، تنهار مقاوماتك فتعصى الله (ﷻ).

إذًا: لو أن القضيّة بالادعاء لكانت القضيّة سهلة جدًا، لو أن الإنسان إذا قال: أنا مؤمن أفيعدّ مؤمنًا؟ وإذا قال: أنا محسن، أفيعدّ محسنًا؟ وإذا قال أنا تقي، أفيعدّ تقيًا؟ وإذا قال: أنا طائع أفيعدّ طائعًا، القضيّة إذا سهلة جدًا، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ . . . ﴿٢﴾﴾ (سورة العنكبوت).

أن تقول: أنا مؤمن، وتُتْرَكْ بلا امتحان، بلا ابتلاء، بلا ظروف كاشفة، بلا ظروف تُلقي ضوءًا على حقيقتك، على نياتك إذا لابدّ من امتحان ليرى صدقك، يقول الإنسان لزوجته: والله لن أتخلّى عنك ما حييت، فإذا أصابها مرضٌ عُضال استثقل حياتها، وتمنّى لوَ يطلقها، ويرتاح منها، إذا هو كاذب بهذا الكلام، فلك أن تقول ما تشاء، قل ما شئت، وعلى الله أن يكشفك على حقيقتك، ادّعِ الورع، فهناك ظروفٌ تكشف ما إذا كنت ورعًا، أو غير ورع، ادّعِ الطاعة،

فهناك ظروفٌ تكشف حقيقتك، ادّعِ برّك لوالديك، فهناك ظروفٌ تكشف حقيقتك.

ذات مرّة سُئل الإمام الشافعي: يا إمام، أندعو الله بالتمكين، أم بالابتلاء؟ فتبسّم، وقال: لن تُمكّنَ قبل أن تُبْتَلَى.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ . . . وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة المؤمنون)

من أنواع الفتن، والبلاء:

١ـ الزوجة: الزواج ابتلاء، الله عزّ وجل يريد أن يرى طاعتك بعد الزواج هل تستمر؟ التزامك في المسجد هل يَضْعُف؟ اندفاعك للعمل الصالح هل يخبو بعد الزواج؟ إذا الزوجة كانت لك فتنة، امتُحِنْتَ بها فرسبت، أم أن الزواج لم يُغَيّر في التزامك نحو المسجد، ولا في أَعمالك الصالحة، ولا في اندفاعك للخير، ولا في طاعتك لله (ﷻ)، ولا شيء غير طاعة الله تحرص عليها الحرص كلّه، والزوجة أن رضيتْ، أو لم ترض سيّان، مادام الله راضيًا، الزواج فتنة.

٢ـ المال: أما بالنسبة للمال فقد يقول أحد الناس: والله لو آتاني الله مالاً لأفعلنّ كذا وكذا، ولأنفقنّ منه على كل محتاج ومسكين، ولأبنينّ المساجد والمستوصفات، ولأنفّقنه على الأقارب، والأيتام، آه، لو أن معي مالاً كثيراً لفعلت، وفعلت، فربنا عزّ وجل يؤتيه مالاً، فإذا هو يبخل، ويضنُّ به، إذا رسب في الامتحان.

كلكم يعلم أمر ثعلبة، قال: يا رسول الله أدعو الله أن يغنيني، قال: يا ثعلبة، قليلٌ تشكره خيرٌ من كثيرٌ تكفره.

النبي عليه الصلاة، والسلام كأنه رأى أن هذا الإنسان إذا وُضِعَ على محَكّ الامتحان فلن ينجح، أصرّ ثعلبة إصراراً شديداً فدعا النَبي له بالغَنى، فتوالدت أغنامه حتّى ملأت شعابَ مكّة، واغتنى غنًى واسعًا، ولقد كان ثعلبة حمامة المسجَد قبل غناه، هكذا سمّاه الصحابة، لأنه ما فاتته تكبيرةُ الإحرام خلف سيّد الأنام في كل صلاة. فلمّا اغتنى، وملأتْ غنمه شعاب مكّة غاب عَن مسجد رسول الله تغيّر، ثم أبتْ نفسه أن يقعدَ على أرض المسجد، بعد عام بعث إليه النبي عليه الصلاة، والسلام من يأخذ زكاة ماله، فقال ثعلَبة لرسول رسول الله: قل لصاحبك لا زكاة في الإسلام، فقال هذا الرسول: أو ما تراه صاحبًا لك؟!.. صاحبي لي.. أجمعت مع منع الزكاة كفرك بمحمّد؟.

وربنا (ﷻ) قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ..﴿٧٧﴾﴾ (سورة التوبة)

فالمال امتحان، والزواج امتحان، تسمع درسًا في المسجد عن الصبر، فتقول: يا أخي، الصبر صفة المؤمنين؟ والله لئن ابتلاني الله

بمرض لأصبرَن، ولأمرّغنّ وجهي في أعتاب الله (ﷻ)، ولأسألنّه أن أكون كذا وكَذا، فيأتيه المرَض، فيكفر، ويتبرّم، ويقول: يا رب، ماذا فعلت أنا حتى أُبتلى ؟ فالمشكلة أنك تستطيع أن تقول ما تشاء، أو قل ما تشاء، ولكن الله عليه أن يكشفك على حقيقتك، كيف أنت في الفقر؟ وكيف أنت في الغنى ؟ هل أنت في الفقر صابر؟ وهل أنت في الغنى شاكر؟

٣ـ المرض: كيف أنت في الصحّة؟ هل هذه القوّة توظّفها في طاعة الله، أم في نيل شهواتك؟ وكيف أنت في المرض؟ هل ترى أن هذا المرض علاجٌ إلهيٌ رحيم، وأن الله بيده كل شيء؟

٤ـ السفر: يمتحنك في الإقامة وفي السفر، إذا سافرت خارج بلدك، هل تضعُف استقامتك وتقول: لا أحد يعرفني هنا؟ فإذا كانت استقامتك في بلدك بسبب خوفك على مكانتك الاجتماعيّة والدينيّة، يبتليك الله بالسفر، بالسفر ماذا تعمل؟ تنظر إلى النساء الكاسيات العاريات، تقف مَليًّا أمام الحانات، تقرأ ما لا يُسمح لك أن تقرأه، وأنت في السفر، السَفر ابتلاء، امتحنك الله (ﷻ)، إذا استقامتك في بلدك ليست حبًا بالله (ﷻ) بل حفاظًا على مكانتك، فالله (ﷻ) يتولّى أن يكشف كل إنسانٍ على حقيقته بشكلٍ دقيق، ربنا (ﷻ) يقول: ﴿ . . . وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة المؤمنون).

لابدّ من أن يُبْتَلى الإنسان، قد يكون في وضع ليس مُضطراً أن يدخل عليه مالٌ حرام، له دخلٌ مشروعٌ، ويكفيه، قد تضيق الأمور ويقلُّ دخله، أو تقلُّ قوّته الشرائيّة، عنده أولادٌ كُثُر، عنده عيال، الراتب لا يكفي، السلع غالية، قبل سنوات كان يقول: والله لو قَطّعوا يدي إرْبًا إربًا فلن أأكل درهمًا حرامًا، كلام طَيّب، ولكن حينما ضاقت به سُبُلَ المعيشة مدّ يده إلى الحرام، إذا هو مَا كان صادقًا بهذا الكلام بل كان كاذبًا.

هل تدَع وزارة الصحّة إنسانًا يكتب على بيته: الدكتور فلان، يحمل شهادة بورد الأمريكيّة، ويكون كاذبًا بهذا الكلام؟ أين الشهادة؟ أين التصديق؟ أين الترخيص؟ في أي جامعة درست؟ ما الإثبات؟ ما الدلائل؟ وزارة الصحّة لا تسمح لإنسان أن يتلاعب، قد يدّعي إنسان ما الإيمان، وهو ينطوي على ضعف في الإيمان، فيُوْضَع من قبل الله (ﷻ) في ظروف صعبة، هذه الظروف الصعبة لابدّ من أن يوضع فيها كي يُكْشَفَ علىً حقيقته.

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت).

قد يقول: أنا تقي، أنا لا أتأثّر بالنساء الأجنبيّات إطلاقًا، هذا مجرد كلام، يضعه الله في ظرف عصيب فإذا قَدَمَهُ تنازل، لماذا؟ لأنه كان كاذبًا في دعواه، فالإنسان كلّما كَبُرَ عقله كلّه ضبط لسانَهُ، لم يتكلّم كلماتٍ ليس في مستواها..

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت).

ما هي الفتنة؟ بعض العوام يفهمون الفتنة بمعنى محدود، الفتنة لا تعني الشر، الفتنة تعني أن تُكْشَفَ حقيقتك، فلان مثلاً معه مبلغٌ يسير، وجاءه صديقٌ حميم، وطلب منه هذا المبلغ، فقدمه له، نقول: هذا الإنسان فُتِنَ فنجح في هذا الافتتان، أي أنه دُعِيَ إلى عمل صالح، فأنت هنا تختبر إذا كان معه مبلغٌ يسير فاستجاب سريعًا لرد لهفة صديقه، ودفع هذا المبلغ، الله عزّ وجل فتنه، أي أظهر كماله، أظهر حبّه للخير، أظهر حُبّه للإحسان، أظهر مؤاثرته لأخيه، أظهر اندفاعه للعمل الصالح، ليس معنى الفتنة أن تَسْقُط، الفتنة تعني أن تنجح، أو أن تسقط.

قال الله تعالى: ﴿... وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ... ۝٤٠﴾ (سورة طه).

أيْ أظهرْنا ما في نفسك، لذلك الإنسان له مظهر، وله مَخْبَر، له كلمات يَدّعيها، ولـه حقيقـة ينطـوي عليهـا، لـه علاقـات خارجيّـة منضبطة، وله علاقات خاصّة غير منضبطة، والله سبحانه وتعالى لابـدّ من أن يكشف هذا الإنسان وقد سرد الـدكتور راتـب إحـدى المواقـف قائلا.

حدّثني أخ تاجر عنده موظّف، قال لي: أغدقت عليه مبلغًا، أي راتبًا جيّدًا يكفيه وأسرته، وكان صاحب المتجر يشعر أن هناك نقصًا في المواد التَي في الدكان، أو نقصًا في المبالغ، قال لي: ذات يوم أرسلت له شخصًا من قِبَلي بعد الساعة الثامنة ليشتري حاجات، وأنـا جئـت إلى مكتبي في السَاعة الحادية عشرَة، وسألته: هل جاء أحد؟ قال لـه: لا، هل اشترى أحد؟ قال لـه: لا، وأمـرت هـذا الإنسـان أن يـأتيني بعـد الظهر ليرُدّ البضاعة أمامي، جاء بعد الظهر فلمّا دخل إلى المحل، ومعه البضاعة ليردها: اصطبغ وجه الموظف باللون الغامق، وشعر بخيانتـه، فهذا إنسانٌ امتحن إنسانًا، ورسب، أعطاه معاشًا معقولاً يكفيه؛ لكنّ هذا الموظّف في هذا المحل التجاري حدّثته نفسه أن يأخذ ما لـيس لـه، أن يأخذ من غَلّة الصندوق، وأن يأخذ من بعض البضاعة، فلمّا شـكّ صاحب هذا المحل لجأ إلى هذا الموقـف الـذكي، وأرسـل مـن يشـتري بضاعةً قبل أن يأتي هو، وسأله وأكّد عليه: هل جاء أحد؟ هل اشترى أحد؟ قال له: لا، أمر الشاري ثانيةً أن يعود بعد الظُهر ليردّ البضاعة،

فكُشفَ هذا الموظّف، إذا: الإنسان قادر على أن يكشف حقيقة إنسان مثلهَ، فكيف خالق الأكوان؟

قل ما شئت، أصبغ على نفسك ما شئت من الصفات، والله عزّ وجل متكفّلٌ أن يكشف كل إنسانٍ على حقيقته..

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت).

يقول لك أحدهم: أنا لا أتأثّر بالنظر إلى النساء، هذا كلام كاذب، التقوى أقوى، الشرع أقوى، وأحوط، هذه الدعوى تعقبها زَلّةُ قدمٍ كبيرة، إذا كان كاذبًا في هذا الادعاء، فلك أن تدّعي مع الله الصلة، و لك أن تدّعي مع الناس الإحسان، و لك أن تدعي مع نفسك الورع، و لك أن تدعي ما شئت، والله سبحانه وتعالى لابدّ من أن يكشف حقيقة الإنسان في هذه الدنيا قبل أن يموت، هذه آيةٌ خطيرةٌ جدًا.

فالعباد مكشوفون أمام الله (ﷻ)، نفسك صفحةٌ بيضاء، الدخائل، الصراعات، المشاعر، الخواطر، الطموحات، النيات العميقة، النيات البعيدة، قد تعقد شراكةً، وتقسم لشريكك أن هذه الشراكة أبديّة، وأن الموت وحده يفرّق بيننا، وأنت في أعماق نفسك

تخطّط لهذه الشركة أن تستولي عليها بعد أمد طويل، بعد أن تكتشف سرَّ هذه المصلحة من شريكك، الله (ﷻ).

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ (سورة غافر).

فلذلك ليحرص الإنسان حرصًا بليغًا على إلا يتكلّم بما ليس فيه، والمؤمن لا يكذب، وهو صادقَ، ويتكلّم الحقيقة، فإذا أنسَ الله منك صدقًا، واستقامةً كان الامتحان يسيرًا، الامتحان عمليةَ كشف هذا المعدن الطيّب، لذلك المؤمن لا تزيده الأيّام إلا رفعةً، لأن حقيقته عالية جداً، فما على الامتحان إلا أن يكشف جوهره الثمين، أما غير المؤمن فحقيقته متدنيّة، مظهره مقبول، له مظهر طيّب، له مظهر صالح، أما حقيقته غير طيّبة، لذلك الأيّام تفضحُهُ وتكشفه على حقيقته.

نسأل الله (ﷻ) أن يثبّت أقدامنا، وأن يسترنا بستره الجميل..

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ (سورة العنكبوت).

أي أيها العباد، لا تحسبوا أنني غافلٌ عنكم، أيها العباد، لا تحسبوا أنكم بدعواكم تكذبون على الناس، وتفعلون ما تريدون، إنني كفيلٌ أن أكشفكم على حقيقتكم..

قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا . . . ﴿٢﴾ ﴾ (سورة العنكبوت).

تقول: أنا كذا، ومتروك بلا امتحان؟ فلو أن طالبًا قال: أنا أقوى الطُلاب في الرياضيات، فالأب قد يصدّق؟ يقول له من خلال سؤال بسيط: أين مذاكراتك؟ أين علاماتَ الامتحان، أتني بها؟ أين جلاؤك؟ طالب هل بإمكانه من أن يدّعي أنه أقوَى الطلاب في الرياضيات بلا دليل، بلا امتحان، بلا أوراق مذاكرات، بلا أوراق امتحان؟ وقد يقول آخر: أنا أقوى الطلاب في اللغة العربيّة، أنا الأولى في المدرسة، كلامٌ لابدّ من أن يُكْشَف مضمونه.

قد يذهب طلابٌ إلى بلاد الغرب ليتلقّوا العلوم، يكذبون على أوليائهم: لقد نجحنا إلى الصف الثاني، ولقد. . . وبعد أربع سنوات تأتي وثيقتهم بالطرد من الجامعة، إذا مع إنسان مثلك لا تستطيع أن تكذب، مع إنسان عادي لابدّ من أن يكشف الكذب آجلاً، أو عاجلاً، فهل مع خالق الأكوان تنطلي عليه هذه الدعوى ؟

إنه حديث يصم ظهر المدّعين:

ورد في الحديث: (إِنّ الرّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنّة).

لم يقل: إنه من أهل الجنّة، بل يعمل بعمل أهل الجنّة، أي أنه يتمسّح بالمؤمنين، يقلّدهم لينتزع إعجاب الناس، كي تروج تجارته،

كي تزداد مبيعاته، كي يثق الناس به، كي يعطونه الأموال الضخمة، إذًا: إنّ الرّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الْجَنّة حَتّى مَا يكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذرَاعٌ، فَيَسْبقُ عَلَيْه الْكتَابُ ـ وهو كشف حقيقته ـ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النّارِ فَيَدْخُلُ النّارَ (صحيح البخاري: عن عبدالله)

هذا معنى الحديث، إنه منافقٌ كبير، إنه يعمل صالحًا فيما يبد للناس لينتزع إعجابهم؛ ليحقّق مصالحه، وليروّج بضاعته، وليرفع مستوى مبيعاته، هكذا.

ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ . . . ﴿٣﴾﴾ (سورة العنكبوت).

اقرؤوا التاريخ: وَلَقَدْ فَتَنّا الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

اقرأ التاريخ، اقرأ تاريخ الأنبياء، والمرسلين، اقرأ تاريخ الذين عاصرو الأنبياء، اقرأ تاريخ الأمم، والشعوب، ماذا ترى؟ ترى أن الله سبحانه وتعالى كشف كل إنسان، الخائن كشف خيانته، والصادق كشف صدقه، والمستقيم كشف استقامته، والدَجّال كشف دَجَلَهُ، وأحيانًا يقع حدث في العالَم فيكشف أوراق الجميع، حدث واحد، هذا الإنسان كان يدّعي كذا فانكشف على حقيقته، وهذا الإنسان، وهذا الإنسان، وهذه الجهة، وهذه الجهة، أحيانًا تقع الأحداث لتكشف الأوراق، وهذا من فتنة الله (ﷻ) للناس..

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت)

فهذا الذي ينفق أموالاً طائلةً على ملذّاته، والأمور مغطّاة، ولا أحد يعرف عنه شيئًا، وفجأةً ينكشف أمره، وتفضح دخائله..

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت).

أحيانًا بعض الناس يتخذ من المظاهر الدينيّة سترًا له، فجأةً يُكْشَفُ أمره، يُضْبَط بعمل شائن، بعمل قذر، بعمل منحرف.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت).

فكلّما ازدادت معرفتك بالله (عَزَّوَجَلَّ) ازداد خوفك منه، وازداد قلقك، لأن الله (عَزَّوَجَلَّ) لابدّ من أن يكشف الإنسان..

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ . . . ۝١٧٩﴾ (سورة آل عمران).

لابدّ من كشف الأوراق، لابدّ من كشف الدخائل، والله يسترك مرّةً ومرّةً و مرّةً، ثمّ يفضحك لتبدو على حقيقتك، لئلا يُغَشّ الناس،

ويخدعون، لئلا تُغَشّ أنت بنفسك، هذه من سنة الله في خلقه، فالإنسان أحيانًا تكون له علاقات شائنة، وتكون له أعمال خَفِيّة..

قال الله تعالى: ﴿ . . . مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة المؤمنون).

وأحيانًا يكون للإنسان مخالفات في بيته بعد أن يُغَلّق الأبواب، لكنّه يبدو أمام الناس بمظهر تقيّ ورع، ثم تشاء الأقدار، وبطرائق عجيبة أن يُكشف في عُقْر بيته، يكشفه أهله في عقر بيته، أصدقاؤه، فلذلك هذه الآية خطيرة، وهذه الآية عامّة، لم يقل الله: أحسب المؤمنون، ماذا قال؟ لقد قال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ . . . ﴿٢﴾ ﴾ (سورة العنكبوت).

وإن جعلها تُخفى على الناس تُعلَم:

وكلمة الناس شائعة، عامّة، أيْ أن أيّ إنسان لابدّ من أن يُكشف على حقيقته، قل ما شئت، ادّعِ ما شئت، اظهر أمام الناس بأعلى الصفات، بأكرم حال، بأفضل مظهر، إذا كان لك أعمال أنت من دون هذه الأعمال لها عامل فهذه تُكْشَف لا محالة، ولكن الله ستّير يسترك المرّة تلو المرّة، فإذا علمَ أنك مقيمٌ على هذه المعصية فلابدّ مَن أن يفضحك كي تتوب منها، وكي تظهر حقيقتك، ولئلا تَغُشّ الناس، حتى أن بعضهم يقولون: الأجانب لهم مثل، قالوا: تستطيع

أن تخدع الناس جميعًا لبعض الوقت، وتستطيع أن تخدع إنسانًا لطول الوقت، أما أن تخدع جميع الناس لطول الوقت فهذا مستحيل ، لذلك أحيانًا حَدَث واحد يكشف أوراق الجميع، يفضح الجميع.

ذات مرّة تواجدت أسرة، وأسرة، وأسرة في حفل في فندق، وتكلّم إنسان من الأغنياء في ساعة غيبوبة، وقال: فلانة وفلانة وفلانة عشيقات له، ففضح كل زوجات هؤلاء على رؤوس الأشهاد، وهذه العلاقات الراقية فيما يبدو كلُّها كُشفَت خباياها وظهرت، علاقات خيانة زوجية في ساعة غيبوبة عن الوَعي، وافتضح حال أولئك جميعًا على مرأى ومسمع مشهودين.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ (سورة العنكبوت).

كم هي عظيمة هذه الآية تكشف لك ماذ تفعل في حياتك نعم تحدد هدفك، وتعرف أنك سوف تمتحن وتبتلى ، ولكن الإنسان الذي عرف لماذا هو هنا؟ لماذا خلق؟ فقد انكشف له الهدف، وانكشف له الامر على حقيقته وإنه يجب أن يمشي في معية الله .

إذا فأنت عرفت الان لماذا انت هنا؟ لماذا خلقت؟ لعبادة الله الواحد القهار فلا تضيع هدف خلقك الأساسي، وتنحرف عن الطريق بل قل يارب، واستقم على الدرب تكن سعيدًا، ولن تحزن على آخرتك

فأنت الان تتوجها إليها في الطريق الصحيح بهدفك ولا تكن ضعفت فكما كان يقول أبي دائما ـ رحمه الله – عافر في الدنيا، وفوت في الصخر من أجل أن تحقق هدفك، وان تنال رضا الله سبحانه، وتعالى فلا تنسى أن هدفك الاساسي يجعلك تصل إلى رضى الله (ﷻ) وهذا هو المطلوب إذًا رَضِيَ عنك الخالق فتح لك الابواب كلها، وحبب فيك خلقه، وسخر لك الدنيا تأتيك رغمًا، من أراد رضى الله وبعدعن رضى الناس تكن اسعدهم هل تتخيل ماذا يفعل رضى الله في حياتك الدنيوية وحياتك البرزخية سوف ترى اكتبها في أجندتك الخاصة رضى الله أولاً اكتبها في مفكرتك على حاسوبك، وعلى هاتفك الخاص رضى الله أولاً فوق كل شيء فوق رغباتك، و فوق شهواتك لا تنظر إلى حرام ولا تأكل حرام واعرف إنك هنا لكي ترضى الله إنها الغاية، والهدف الذي تسعى إليه لا تكل، ولا تمل.

هل سمعت يوما عن انتحار شيخ عالم حافظ للقران؟! بالطبع لا، منذ أرسل الله إلينا نبينا محمد (ﷺ) بالاسلام، والقرآن وحتى زمننا هذا لم يحدث أن انتحر عالمًا في كتاب الله أو أصيب بمرض الاكتئاب، اوحتى اصيب بمرض الزهايمر هذا لأن من تدبر كلمات الله، وعرف هدف خلقه، وعمل بها لا ينحرف عن الطريق أبدًا.

فنحن نسمع عن انتحار أشهر الشخصيات التي لديها المال، والشهرة، والنقود وكل ما يتمناه لكن شرد عن هدف خلقه الأساسي وضاع في

الحياة بروحٍ فارغة فعند ما تصبح الروح فارغة يتسلل لها الشيطان، ويتحكم بها ويدخل فيها الاكتئاب، والضياع وتتوه في الدنيا زائغة بلا هدف فتمرض، وتهلك.

ولكن المؤمن الحق الذي يغذي روحه بالايمان هذا هو ملخص ما تقوله الآيات الكريمة عن أن تكون من المؤمنين، وتعمل الصالحات.

ولا تنسى أن كلمة الصالحات تعود على كل شيء في حياتك الكلمة الطيبة التعامل مع والديك أقاربك زوجتك أولادك جيرانك لا تنسي أن الصالحات ممكن أن تكون في مساعدة الفقراء في الابتسامة في وجه أي شخص تقابله لا تنتظر العمل الصالح من يومك بل أجعل يومك لله وحده، وهدفك لله، وحياتك ومماتك لله.

ما أعظمها من هدف!.

فلهذا أنت هنا.